تأثير الجمود في الأزمة المغربية

المغرب

السنة الأولى - العدد 7 - الجمعة 18 صفر عام 1356 الموافق 30 ابريل سنة 1937

مصائب الأزمة هى الآن المحور الذي يدور عليه حديث المغاربة في جميع حالاتهم، لأن البؤس قد تمكن من جميع الطبقات المتوسطة والفقيرة وأخذ يسري إلى طبقة الأغنياء ليصير منهم من تألم لألم الجوع فيرحم في يوم ما ضعيفا برغيف ويواسي فقيرا بدرهم، وتلك حسنة قد تكون للأزمة.

وكلما اشتدت الأزمة وعصرت خيرات البلاد كثر الجدال عن مصدرها، وتنوع البحث عن أسبابها، فليست الأزمات متحدة في صورها لأنها غير متحدة في أسبابها، بل هى تختلف اختلاف الوضعيات والتنظيمات التي تكون عليها الأمة وتؤثر على إنتاجها واستهلاكها؛ فمتى عدم التوازن بين هذين العاملين المهمين أصبح حديث الأزمة حديث العموم. والغرب اليوم وهو يقطع بحر الأزمة الوعر ويخترق كل هذه المصاعب التي لا تزداد مع الأيام إلا شدة وعسرا يأمل أن يتخلص منها، ويشق لنفسه طريق الحياة، ويستأنف سيره نحو الخصوبة، ولن يكون ذلك اليوم كمجرد فعل المصادفات كما كانت الأحوال في الماضي، بل لابد لكى يخرج المغرب من أزمته من مجهودات شتى ودراسات عميقة لأسبابها، ولا بد أن يساهم كل فرد مفكر في تشخيص أدوائها، والصحافة هى الميدان الفسيح لبحث هذه المسائل وتكوين فكرة صحيحة عن طرق الخلاص منها.

ولقد نشرت « المغرب » بحثا قيما في عددها الخامس للأستاذ علال الفاسي في الأزمة المغربية استخلص فيه أن سببها الرئيسي هو نزع الأراضي من أيدي الفلاحين المغاربة وتقديمها هدية سائغة للمعمرين، فنشأ عن ذلك أن أصبحت عشرات العائلات التي كانت

تقطن البادية لا تملك شيئا ولا تجد ما تستخرج منه معيشتها فتسربت إلى المدينة وزاحمت أهلها.

ونحن وإن كنا نقدر هذا الرأى حق التقدير ونرى في نزع أراضي الفلاحين مصيبة داهمت المغرب دون أن ينتبه إليها وإلى خطورتها لا نستطيع أن نتصور أن ذلك هو السبب الوحيد للأزمة المغربية التي استنزفت ثروة البلاد. فهناك عامل أساسي لا يمكن أن نغفل عنه ولا يمكن أن نمر به دون أن نعطيه كل ما يستحق من الاهتمام، هذا العامل هو الاختلال الكبير الذي أصاب حياتنا من ناحية مطامعنا التي أصبحت غير متناسبة مع مقدرتنا العملية في الوجود، فالبون شاسع اليوم بين ما نتطلبه من حاجيات وبين ما نستطيع أن نساهم به في خلق تلك الحاجيات.

فهذه حياة الفلاح رغما عن بساطتها وضيق دائرتها أصبحت ترى فيها ضروريات لم تكن تعرفها بالأمس، أو لم تكن تعد إلا من الثانويات؛ فلا بد للفلاح من أن يركب السيارة أو القطار ولا بد للفلاح من أن يلبس هذا الثوب المصنوع بأيد أجنبية ويتناول أطعمة لم تنتجها بلاده ويشرب الشاى المحضر بمواد تأتي من أقصى أنحاء المعمور، والفلاح فوق هذا وذاك ويدخل المدينة فإذا هى مرعى خصب لشهواته وملذاته.

والصانع تنوعت سبل المصارف أمامه وتضخمت واجباته في الحياة الاجتماعية بعد أن كانت بسيطة قليلة التكاليف ضعيفة النفقة؛ أصبح ملزما بما يرهق الكاهل ولا يستطيع القيام به أى صانع يدوي بسيط. وكذلك التاجر - وهو في وسطنا يعد من الأغنياء مهما قل ما بيده - يرغب أن يظهر في جميع حالاته بمظهر العظمة والفخامة.

أو ترانا نستطيع أن ننتج شيئا مهما مما يستهلك فلاحنا الفقير وصانعنا البسيط وتاجرنا المفلس؟ ألا نرى أن كل شىء نستهلكه يحمل إلينا من الخارج، فتتسرب الثروة يوما عن يوم إلى جيب الغير، ونظل في أزمتنا نرتع، وفي مصائبنا نهمع، إلى أن تتغير الأحوال، ولن تتغير الأحوال إلا بتطور المغرب. فهل لتطور المغرب نحن عاملون؟